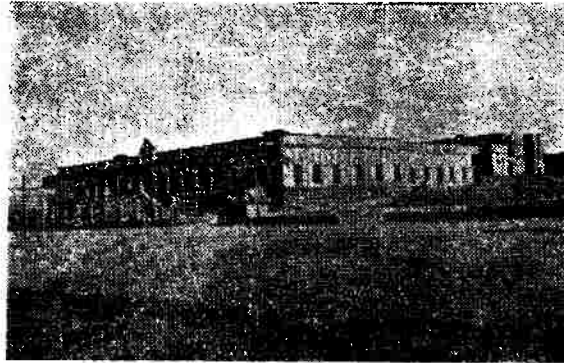


طبيب الكويت

جداً لا يباهى بشيء في حديثه ، ولا حتى بين مظاهره ما يدل على الثروة الطائلة التي يتحكم فيها . ولكن ارمه بالجمود لأول نظرة ، وأنت لا تلبث أن تضحك من نفسك وحملك . حيث إنه يميل بفطرته للتطور . ولكن يهمله أولاً وآخراً أن تكون خطاه ثابتة . دون طفرة ويتحاشى أن يعمل بنصف إيمانه فإذا اقترحت شيئاً مفيداً من الوجهة العامة . فليس معنى إهمال التنفيذ أنه ضد المنطق ولكنه يقدر ويقدر ، فيجب أن تصبر وتلح إن كنت مؤمناً برسالتك . .

الكويتي ليس متعصباً للماضي . فتعارفه أصل الفتي ماقدر حصل . . أعنى أنه لا يحشى ، ذاكرته بما يدعيه المؤرخون بأن من لا ماضي له لا مستقبل له . وعندى أن هذا من أسرار نجاحه ، فهو عملي موفق دون ازدحام النظريات في حياته . .

سيقولون أين آثار إنشائه الوثابة ؟! فيها أنا ذا أعطى أمثلة مما رأيت مع أن شهرى للثالث لم يتم بعد . . بعد أيام رأيت شارعين امتدا كجبار عات ابتلع الأزقة والمنحنيات الغربية



المستشفى الاميري قبيل الانتهاء منه

ولم يكتف بتعمير الابنية اللبينة الأساس بل أقام مكانها عمارات بالأسمنت المسلح تشرف على مساحة بطول المدينة وبعرض منسق ومنفرج ، وبطول طريق البحر أرى كل اسبوع جديداً يبطش بالقديم . ويتمجم على البحر ليقتصب منه (كور نيشاً) أو مبان حكومية ومخازن للجمرك . ونجحت مما اسلفت هو سرد ما قابلني من الوجهة الطبية وهاهي ذى القصة أتلوها ، ومعها انفعالاتي النفسية حسب وقوعها .

جرت العادة بالكبريت أن تستضيف الحكومة . كل قادم عليها للعمل بإدارتها ، ثلاثة أيام تطعمه وترعاه ، ثم تركه لنفسه وما حضر له . فلما انقضى الاجل خرجت

لم ينته بعد شهرى الثالث ، وكأني مقيم ها هنا منذ أمد طويل ، لأنى تركت نفسي ومداركى تعمل أولاً كآلة التقاط المناظر السينمائية ، أسجل ما يمر بي على علاته وأستوعبه لاسترشده به في ممارسة مهنتي . وفي عيادة الطبيب يستعرض الفرد عاداته مع مرضاء ، وأما الحياة العامة لشعب . فيكفي أن يصوب الطبيب (عدسته) وهو سائر بين الأزقة والشوارع والأسواق ، ليدرك كنهها . أجل فإن لزماً على أن أعرف مستوى الحياة هنا معرفتي بالمؤثرات الجغرافية والجزرية ، وإلا كنت كواعظ مخلص لا يفهم الناس لغته فلا هو أراح ولا استراح .

مررت بكثير من بلاد العالم سابقاً . ولكن كسائح يهمله التمتع بكل جديد ، ويحاول أن يبقى لذاكرته ذخيرة منشطة من المباهج حتى أعرف منها أيام الشيخوخة العابسة .

وكنت سريع التعرف بمن حولي أينما انتقلت ، غير أن معرفة الكويتي تكاد تكون فنادقياً ، وأنا محتاج أن أفهمه لا يمكن من أن أكون عملياً في إرشاده لشؤونه الصحية والعلاجية همساً . . الكويتي

رجل تختلف طبيعته ونشأته عن غيره ، فظهره مثلاً ، يدل على الكسل ، ولكن حقيقة النشاط ، وفي حديثه تحسبه مرائياً ولكن الواقع أنه أجراً من بواجهك بشعوره نحوك ، في الوقت المناسب له . خاصيته أنه يبدأ كتاجر محلي ، ثم لا يلبث أن يكون دولياً يمتد أفق معاملاته إلى دول أوروبا وأستراليا غير مفوت زنجبار وبالتالي إيران والهند والصين ، . ويدهشك أن تراه أعلم من مراسل روتر بالبين عن تطور النزاع الموجود الآن بين الشيوعية والديمقراطية . فإذا لمست أن الكويتي يتعامل مع كل هذا دون وسيط أجنبي لمست ما ينطوى عليه عملياً . ترى هذا الرجل النحيل هادئاً أمام مكتب بسيط

عدت الى الكويت

عرفت منذ سنوات عشر يوم كنت أقف على أول درجة من سلم الشباب . ولقد أنزلتها من قلبي في أرفع مكان وعشقت فيها الشائل العربية الصريحة التي وصي بها ربيعة ومضر ، تلك الشائل التي تشيع في نفس العربي نشوة الحنين ، ولذة الذكرى الحبيبة فساقني ذلك إلى الإخلاص في العمل والصدق في المحبة فقضيت عاماً سعيداً مفعماً بكل ذكرى عطرة عشيت فيه بخيالي أنسج الأساطير ، فأعماني ذلك عن كل ما لا قيمت من حرمان . كنت أرى الكويت جنية عربية ، فرغت من جزيرة العرب ، لتشهد مصرع دجلة والفرات في الخليج العربي ، فلوحتهما الشمس وأدركها الإعياء ، فألقت بنفسها على الشاطئ وتركت أمواج البحر تنضح أخمصها ، وهذا اللؤلؤ الذي يتنافس الغيد في التحلي به ما هو إلا دموعها المقدسة على مصير الحبيبين دجلة والفرات ، وكنت أشتاق إلى الحضرة فلا أجد إلا هذا الشجر ذا الأشواك مما يشبه الصدر ، فتهش له نفسي وبأشرح له صدري لأنه يذكرني بسمرة الرسول يوم الحديبية ويسمرات امرئ القيس التي خلدها بقوله :

كأنى غداة البين يوم تحملوا

لدى سميرات الحى ناقف حنظل

وكم ضمتني الصحراء الساحرة في الليل الساجي

البيم ، مع فتية كاسيوف هزم شرخ الشباب وزانهم كريمة الآداب فأنشدنا قول المعري :

رب ليل كأنه الصبح في الحس

ن وإن كان أسود الطيلسان

ثم التفتنا إلى السماء فأنشدنا :

ليلقى هذه عروس من الزج عليها قلائد من جمان

كانت الكويت قبل سنوات عشر تلبس حلة من البساطة

الحبيبة ، فالحياء سمة لينية والعلاقات بين الناس أخوية

ديموقراطية ، فيها كثير من الطمأنينة والثقة يرتسم على

وجوه القوم مافي نفوسهم من رضى ودعة . وكنت أبنما

سرت تستمع إلى ألحان التحيات العربية الصادقة والمجاملات

أنحس مكان ، وكان طبيعياً أن أسترشد بطبيب مقيم قبل فسارني دليلي نحو « المستوصف » وهو مبنى قديم ما ان جسست خلال غرفه حتى بدا الجزع على معالي . هذا المستوصف لهذا البلد الناهض ؟ ! رأى صاحبي أني أحاول العودة كاسفاً ، فأهاب بي أن أستمز لرى البقية ، ثم أخذ بي إلى طريق منفرج منظم ساعد مع نسيم البحر على إعادة مانقص رتقي من الأكسجين . مشينا حتى بلغنا بنسأماً شيقاً فوقفت متسائلاً باهتة عما يكون هذا ؟ . فأجابني دليلي بأن هذه إحدى المدارس التي سأرى كثيراً مثلها . وهنا عاد تنفسي إلى طبيعته . وانطلقنا حتى بلغنا مبنى آخر مكتوب عليه (المستشفى الأميري) . دخلته بسرعة ولطف فوجدت فوجاً من العمال يتممون زخرفته . ووقفت أقلب النظر بين نشاطهم وما أنجزوا فنسيت ما كنت عليه منذ لحظة كأن الرجا قد محي بقدرته آية اليأس . فلم يبق مني إلا طفل فرح . نهني إلى وجوده رجل بكوفية وعقال أقدمه لا لأنه مدير الصحة بل لتسمعه وهو يستفيض في الشرح عن طبيعة المؤسسة ونظمها المجسمة أمامي ، فيكأنه مهندس ماهر تخصص في هندسة المستشفيات هذا المستشفى بالذات ليس كمثل شئ . بأي مملكة أو سلطنة بكل جزيرة العرب .

هذا هو الكويتي في إدارته التنفيذية ، سمح في سماع انتقاداتك الحققة تحسبه جامداً بينما هو يجمع قواه المادية لينفذ أرقى ما يمكن ولكنه لا يهدم القديم قبل أن يكون مستعداً لإقامة الجديد في الوقت ذاته ، وما لبثت في الكويت قليلاً حتى رأيت الزملاء يتداولون ، والفكر والأيدى تعمل ناشطة بسرعة ليجهزوا على الماضي ، وكما قلت لينبوا الحاضر معاً . أقول الحق ، إن أعضاء مجلس كل دائرة وهم كويتيون محض هم الدافعون الحقيقيون لكل نهضة مستنيرين فقط بالفنيين .

رب اجعل هذا البلد خليقاً بنشاط أهله وارزقه بالمخاضين حتى يتسلم النشء الكويتي مكان كل فتي ؟

محمد رباحه صلاح

طبيب معارف الكويت